وَكَـيْـفَ أُطـيـقُ الـصّـبـرَ عَـمّـنْ أحـبّـهُ
وَقد أُضرِمتْ نارُ الهوَى في أضَالعي[١]؟

عنترة وبسطام سيد بني شيبان

كان مالك بن قراد لما فر بابنته عبلة من وجه عنترة ونزل على قيس بن مسعود، سيد بني شيبان، فأكرمه قيس وأحسن إليه، وكان لقيس ولد من الفرسان يقال له بسطام ويكنى بأبي اليقظان، فلما نظر إلى عبلة أعجبته ووقعت في قلبه موقعاً عظيماً فخطبها من أبيها، فوعده بزواجها على شرط أنه يأتي له برأس عنترة، فقبل ذلك ونهض من وقته طالباً ديار بني عبس، فالتقى بعنترة في الطريق، فهجم عليه يريد برازه وأنشد أبياتاً مطلعها:

حادثات الدهر تأتي بالبدع
ترفع العبد وللحر تضع

فلما سمع عنترة قوله استشاط غضباً وكان قد بلغه خبره فبارزه وهو يقول:

[الخفيف]

يا أبا اليَقْظانِ! أغْوَاكَ الطّمَعْ
سَوْفَ تَلْقى فارِساً لا يَنْدَفِعْ[٢]
زُرْتَني تَطْلُبُ مني غَفْلَةً،
زَوْرَةَ الذِّئْبِ عَلى الشّاةِ رَتَعْ[٣]

(١) يستغرب الشاعر كيف أنه يطيق صبراً وبعداً عن المحبوبة والأهل والديار؛ فالقلب جمرُه لا ينطفئ، دائم الأجيج ولا تخمد ناره.

(٢)، (٣) يخاطب الشاعر أبا اليقضان ناعياً عليه زيارته المفاجئة، وهو يطمع أن ينتهز منه غفلة ليفتك به، خاب ظنّه فسوف يلقى بطلاً لا يفرّ جبناً؛ إنها زورة ذئب خبيث يتحيّن الفرص ليفتك بشاة لاهية. خاب ظنه خاب.

يـا أبـا الـيَـقْـظَـانِ! كَـمْ صَـيْـدٍ نَـجـا
خَـالَـيَ الـبَـالِ وَصَـيّـادٍ وَقَـعْ[١]
إنْ تـكُـنْ تَـشـكُـو لأوْجـاعِ الـهَـوَى
فـأنـا أشْـفـيـكَ مِـنْ هَـذا الـوَجَـعْ[٢]
بـحُـسَـامٍ، كُـلّـمـا جَـرّدْتُـهُ
فـي يَـمـيـنـي، كَـيْـفَـمـا مـالَ قَـطَـعْ[٣]
وَأنـا الأسْـوَدُ وَالـعَـبْـدُ الـذي
يَـقْـصِـدُ الـخَـيْـلَ إذا الـنَّـقْـعُ ارْتَـفَـعْ[٤]
نِـسْـبَـتـي سَـيْـفـي وَرُمْـحـي، وَهُـمـا
يُـؤنِـسَـانـي، كُـلّـمـا اشْـتَـدّ الـفَـزَعْ[٥]
يـا بَـنـي شَـيْـبـانَ، عَـمّـي ظـالِـمٌ،
وَعَـلَـيْـكُـمْ ظُـلْـمُـهُ الـيَـوْمَ رَجَـعْ[٦]
سـاقَ بِـسْـطـامـاً إلـى مَـصْـرَعِـهِ،
عـالِـقـاً مِـنْـهُ بـأذْيَـالِ الـطَّـمَـعْ[٧]

---

(١) يذكر الشاعر أبا اليقظان بأن الأمور سوف تنقلب فيصبح الصيد صياداً والصياد فريسة؛ وهو يهدّده بما سيؤول أمره إلى وبال وحسرة ندم.

(٢)، (٣) لعلّ أبا اليقظان يتألم لما ناله من الحبّ، وهذا مرض لا شفاء منه إلّا بوصفه طبيب مجرّب، فالشاعر يعمل على شفاء مرض أبي اليقظان بسيفه البتّار، فيريحه من عذاباته؛ فسيفه شافٍ وافٍ، فإذا جرّده من غمده، مال به ميلة أودت بمن قصده إلى حتفه، وأصبح رميم التراب.

(٤)، (٥) لطالما ناضل عنترة ليمحو العبودية عن نفسه، فكيف يُقرّ بها؟ فضلاً عن أن يفتخر بعبوديته؟! يفخر الشاعر بسواد بشرته وعبوديته؛ إنه يسارع إلى الطعان ويلاقي الخيول، والغبار ترتفع في الميدان غير هياب ولا وجل، وهو ينتسب إلى سلاحه؛ إنه ابن السيف والرمح، وهما عُدَّة أنسه وسرّ فخره إذا اشتدّ الزحام وقوي الوطيس. فهناك يشتدّ الفزع في قلوب الشجعان.

(٦)، (٧) يخاطب الشاعر بني شيبان، متّهماً عمّه بالظلم، ولقد نزلت لعنة ظلمه =

وَأنـــا أقْـــصِـــدُهُ فـــي أرْضِـــكُـــمْ،
وَأُجـــازِيـــهِ عَـــلـــى مـــا قَـــدْ صَـــنَـــعْ[١]

ويل لشيبان

يتوعد بني شيبان:

[الرجز]

مَـــدّتْ إلـــيّ الـــحَـــادِثـــاتُ بـــاعَـــهـــا،
وَحـــارَبَـــتْـــنـــي فَـــرَأتْ مـــا رَاعَـــهـــا[٢]
يـــا حـــادِثـــاتِ الـــدّهْـــرِ قـــرّي وَاهْـــجَـــعـــي
فَـــهِـــمّـــتـــي قَـــدْ كَـــشَـــفَـــتْ قِـــنـــاعَـــهـــا[٣]
مـــا دُسْـــتُ فـــي أرْضِ الـــعُـــدَاةِ غُـــدْوَةً
إلّا سَـــقَـــى سَـــيْـــلُ الـــدِّمـــا بـــقـــاعَـــهـــا[٤]

= عليكم، ومنها أن ظلمه حمل بسطاماً على العدوان ظاناً أنه باستطاعته الفتك بالشاعر، فإذا به يسوق نفسه إلى حتفها.

(١) لن يُمهل الشاعر بسطاماً بل سوف يبادر إلى قتله في ديار بني قومه جزاء ما قد جنت يداه وتعديه.

(٢) يبدأ الشاعر قصيدته مفتخراً بما لديه من قدرة على التغلب على المصائب والويلات لا تترك النكبات أحداً مستريحاً، كعادتها استطالت يدها حتى أبانت عن باعها بحرب لا هوادة فيها، فأصابها رعب ما كانت تحسب له حساباً مني لقوّة احتمالي وصبري.

(٣) يخاطب الشاعر الحوادث طالباً منها أن تهدأ وتنام محذّراً من أنه قد صمّم على المجابهة وهمّته مستعدّة للمجابهة.

(٤) عادة الشاعر المبادرة إلى الشرّ، ولا يُدفع الشرّ إلّا بالشّر، والتحذير مقدّمة =